مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies)
جامعة وهران02/ المجلد 12ع01 . 16/ 01/ 2023
ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

الهوية والطعام في المجتمع الجزائري
دراسة سوسيو أنثروبولوجية بمنطقة البيض

Identity and food in Algerian society
Socio_antropologic study in El bayadh region

خالفي نجاة* khalfi nadjet (khalfinadjet1990@gmail.com)	علم الاجتماع	مخبر دراسات الفكر الإسلامي في الجزائر/كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية/جامعة جيلالي اليابس - سيدي بلعباس/الجزائر.
د. فكروني زاوي Dr fekrouni zaoui (zaoui.fekrouni@univ-sba.dz)	علم الاجتماع	مخبر دراسات الفكر الإسلامي في الجزائر/كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية/جامعة جيلالي اليابس - سيدي بلعباس/الجزائر.

DOI : 10.46315/1714-012-001-045

الإرسال: 2021/02/02 **القبول**: 2021/05/03 **النشر**: 2023/01/16

ملخص:

هدفت الدراسة إلى معالجة ثنائية الهوية والطعام، وكيف أن الطعام أصبح بطاقة هوياتية تعريفية بالمجتمعات، إذ أن كل مجتمع يحاول تأصيل هويته بانفراده بثقافة طعامه، هذا الطعام الذي يحمل جملة من الدلالات المفعمة برسائل اجتماعية وثقافية، بحيث تعدى حدود المعطى البيولوجي الذي يسد حاجة الفرد للإشباع الى معطى ثقافي يعكس هويته ويميزه عن الاخر. وقد طبقت الدراسة ميدانيا على عينة من مجتمع منطقة البيض.

كلمات مفتاحية: الهوية؛ الطعام؛ الممارسة الرمزية؛ الهوية الثقافية؛ النظام الاجتماعي.

Abstract: (English)

The study aimed to address the dual identity and food and how food has become an identity area defining societies as every society tries to establish its identity by being alone with the identity of its food, this food that carries a set of connotations full of social and cultural messages so that it exceeds the limits of the biological given that fulfills the individual's need for gratification into a cultural given It reflects his identity and distinguishes him from the other. The study was field-applied to a sample from Al-Bayadh State .

Keywords : Identity;Food;Symbolic practice;Cultural identity;Social system.

* - الباحث المُرسل: khalfinadjet1990@gmail.com

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

مقدّمة:

تشكل مسألة الهوية واحدة من الإشكاليات الكبرى التي تدخل في نسيج الفكر السوسيولوجي والأنتربولوجي المعاصر، وبدورها تشكل الممارسات الثقافية والاجتماعية سمة أساسية من سمات التعبير الهوياتي للأفراد والجماعات، منها مايتعلق بالطعام والطبخ والطقوس المرتبطة بهما فصورة المجتمعات غالبا ماترتبط بأطباق ومأكولات، بحيث أصبح الطعام ثقافة وليس حشو بطن فقط .

والمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات يعيش هذه الثنائية التي تربط الطعام بالهوية، حتى أن الرحالة الذين سافروا في بقاع الجزائر في القرن التاسع عشر ركزوا في وصفهم للجزائريين من خلال أشكال ممارساتهم الغذائية والمطبخية والطقوس المرتبطة بالطعام عموما، فهذا الرحالة "كلاماجرون" Clamageranيشير إلى أن الكرم الجزائري : "كرمهم يمتاز بنوع من العظمة والفخامة لا يمكن إلا أن يؤثر في الغريب وهذا لا يعني أنه فاخر وباذخ، وحتى ولو كان بسيطا فيقدم لك بعض الكسكس بالفلفل مع نبيذ النخيل، فان العظمة تكمن في سلوكاتهم، في حركاتهم وملامح وجوههم المعبرة عن الوقار والود والاستئناس، عبارات أبلغ من أي بذخ، انهم يتمتعون إلى درجة عالية بفن التعبير عن أحاسيس عميقة بطرق بسيطة جدا " (Clamageran, J, 1874, 175) .

كما يصف "فرومنتان " Fromentinالضيفة وطعامها وكيفية تقديمها، مؤكدا دائما على سلوك المضيف في خدمة ضيفه فيقول: "الضيفة هي طعام الضيافة، مكوناتها سطرتها العادة والأعراف فأصبحت علامة من علامات اللياقة " (Fromentin,E,1857, 18,19) وهذا إن دل فإنه يدل على ان الممارسات الغذائية هي ممارسات رمزية في جوهرها تنصهر في صميم عملية الإنتاج الهوياتي.

-الإشكالية:

رغم التسليم بأهمية الأنشطة الثقافية المرتبطة بالحصول على الطعام وإعداده، والمشاركة فيه إلا أن هذا الميدان لم يحظ بالاهتمام الكبير من ناحية السوسيولوجيين، على الرغم من الاستشهاد على الدوام بالممارسات والمعتقدات والعادات الاجتماعية المرتبطة بالطعام كنماذج توضيحية في مجال القرابة، التبادل، السمة الثقافية، رؤى العالم وقد قدم" لفيتاسG.Levitas "في عرضه لهذا الميدان مسحا للإسهامات الأنتروبولوجية في دراسة الطعام، وفي دراسة جوانب معينة من علاقة الطبخ ونظام الغذاء والتغذية والثقافة.

كما قام علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية البريطانيون مثل "بول كونيرتون P.Connerton" فيما بعد متأثرين في ذلك بأعمال دوركايم وراد كليف براون بتطوير دراسة القيمة الرمزية للطعام واستخداماته الرمزية في العلاقات الاجتماعية . وفي منحى آخر قام علماء الانثروبولوجيا الثقافية الأمريكية، تحت تأثير " مالينوفسكي " ونظريته الوظيفية في الثقافة بدراسة وظيفة الممارسات

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

المتصلة بالطعام، وآثار تلك الممارسات على نفسية الجماعة وثقافتها. ثم قام " ليفي ستروس بدفع هذا الاتجاه خطوات أبعد الى الأمام.

وكغيرها من مناطق الجزائر تعرف منطقة البيض بأطباق وأطعمة عديدة كالكسكسي البيضي والمعكرة والرفيس والمشوي وغيرها، أطعمة لها طرق إعداد وممارسات طقوسية خاصة بها وعليه فان الطعام على الصعيد الممارساتي يحيل إلى مستويات مختلفة ومتداخلة، فلا يمكن الحديث عن جوهر مطبخي خالص بالمعنى التقني للكلمة، لأن حتى التقنية على وجه الإجمال هي نتاج اجتماعي خالص.

ومنه فان الإشكالية المحورية مفادها:

- ما الدلالات الهوياتية للطعام في المجتمع الجزائري؟

وللمساعدة في الإجابة على هذا السؤال الرئيسي قمنا بطرح الأسئلة الفرعية التالية:

-هل يمثل الطعام في البنية المعرفية للجماعات عنصر تعريف الذات بعلاقاتها مع الآخر؟ أم أنها تعبير عن خصوصية ونمط حياة مميز؟

-هل يعتبر الطعام مجرد اختزال آلي لثقافة الجماعة ام أنه يشكل أحد مصادر الهوية ومحرك ديناميكيتها؟

-الفرضيات:

تتمحور الفرضية العامة للدراسة حول فكرة أن الطعام يمكننا تمثله عبر مثلث الفضاء الاجتماعي والزمن احدى زواياه والرمزية الاجتماعية زاويته الثالثة، وعليه فالطعام له دور في إحساس الافراد والجماعات بانتمائهم الثقافي طالما انه ينخرط في ديناميكية هويتهم، وتتفرع عن هذه الفرضية العامة فرضيتين فرعيتين:

-الطعام هو ممارسة رمزية تدل على السمة الثقافية المميزة.

-الطعام هو تجسيد للنظام الاجتماعي للجماعة وتجسيد لهويتها الثقافية.

-أهمية الدّراسة:

مع تفجر مسالة الهوية منذ بضعة عقود اخذ الباحثون يتقصون طرقا غير كلاسيكية أو معتادة في مقاربة الهوية وإشكالاتها المتعددة، منها مقاربة الطعام الذي أخذ شحنة جديدة في الاعمال المعاصرة، حيث أصبح ينظر اليه مجسدا لمختلف التقطيعات الاجتماعية والثقافية والاثنية مما مهد السبيل لإعادة اكتشاف الذاكرة الاجتماعية للمجتمعات المتمثلة في الطعام والطبخ، حتى أن الاثنية أصبحت ملتصقة بتقليد مطبخي خاص، فاختزلتها في طعام أو طريقة

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

تقديمه او إعداده وعليه تكمن أهمية الدراسة الراهنة في محاولتها مواكبة المقاربات الجديدة في مجال دراسة الهوية.

-أهداف الدّراسة:

ان ما نهدف التعرف عليه من دراستنا الراهنة هو طبيعة الانساق القيمية المؤطرة لرمزية الطعام من طرف المبحوثين، من خلال تعرفنا على المجمل الاعتقادي والمعرفي لعينتنا المجسد ضمنيا في خطاباتهم عن الطعام، وكيف أن الطعام ممارسة رمزية تساهم في تجسيد نظامهم الاجتماعي وبناء العلاقات والروابط بينهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى يعكس ويدل على هويتهم الثقافية.

مصطلحات الدّراسة:

- **الطعام:** "هو أي مادة يمكن أن يحولها الكائن العضوي لإعطاء الطاقة وبناء الخلايا، وأنه المكون من تركيبة تضم السعرات الحرارية، والبروتينات، والدهون، والمعادن الكربوهيدرات، اذ تبدأ انزيمات الفم بعملية التكسير وتجهيز السكريات كونها طعاما لعملية الهضم، عند دخوله الى المعدة تقوم الاحماض فيها بفصل المواد الغذائية والمكونات ذات الفائدة في الطعام بعملية تدعى الهضم، ثم يقوم الجسم بامتصاصها لكي تصبح مصدر الطاقة " (Brix, J, 2006, 978)

ويقترح الأستاذ رولاند بارث(Roland Barthes) أن ما يسمى طعاما يمتد الى أوسع من مجرد العناصر الغذائية، والسعرات الحرارية، والمعادن، وان الوجبة هي اكثر مما تحتويه، إذ أنها تشمل نظاما تواصليا، وهيكلا من المعاني، ومواثيق protocols للاستعمال، وظروف وسلوكيات، وأن إستعمال الناس الطعام لأجل التحدث بعضهم لبعض ولإنشاء قواعد سلوكية (مواثيق) (Belasco, W, 2008, 15).

- **الهوية:**

على حد تعبير الدكتور بن نعمان الهوية:" هي مجموعة الصفات أو السمات الثقافية العامة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد الذين ينتمون إليها، والتي تجعلهم يعرفون ويتميزون بصفاتهم تلك عما سواهم من أفراد الأمم الأخرى".(بن نعمان، أ، 22، 21، 1996).

- **الممارسة الرمزية للطعام:**

غالبا ما ينظر إلى الغذاء في المجتمعات النامية عموما والعربية خصوصا، كشكل من أشكال التفاضل الاجتماعي، أو كعنصر من عناصر تمظهر الهوية الاجتماعية لفئة أو طبقة اجتماعية (Philippe. CARDON.2012,03)، لذلك لم يحظ أبدا بنفس الأهمية التي أعطيت له في دراسة المجتمعات الغربية. ومع هذا يمكننا الجزم أن الغذاء كموضوع تفكير قد تم تحديده ووصفه

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

باعتباره ظاهرة اجتماعية، تاريخية، ثقافية مادية ورمزية لها ارتباط بكل أبعاد الوجود والنظام الاجتماعي، لقد ربط الغذاء بالهوية، وربط بالصحة، وربط بالجغرافيا. وربط بالسمة الثقافية .... وربط بالجسد، وبالتقنية وبالدين وغير ذلك من الأمور والمسائل. وهذا الربط قد أباح شتى نظم الفهم والتأويل للمجتمعات عبر مختلف العصور، فألغى فكرة الفصل بين الأكل والمأكول وبين أن حقيقة الإنسان مشروطة بالغذاء، لكن ماهية هذا الأخير محددة ثقافيا (صولة، ع، 2012، 250).

وإذا كان أي غذاء يجب إن يكون مفكرا فيه بصفة جيدة، وفق تعبير "ليفي شتراوس" فإن الممارسة الغذائية ذاتها تتحول إلى إحدى المرجعيات الضابطة لرؤية وفهم خاصين للعالم، للوجود في بعديها الفردي والجماعي. أي بين نظرة تعتبر الغذاء كوسيلة outil تربطه بالصحة / الجسد وبالمستقبل، وبين نظرة تعتبر الغذاء كمادة substanceتربطه بالرمزية / الروحانية والحاضر (FISCHLER C,2008 . 10) .

- **الهوية الثقافية للطعام:**

في اللغة اللاتينية الأكل يصطلح عليه بـ "alere" والتي معناها أفاد وغذى، فالغذاء إذن ارتبط مفهوماتيا بمعرفة الذات وبما هو مفيد للذات، من أجل الحفاظ على التوازن، لذلك غالبا ما نجد الغذاء مرتبط بمصطلحات أخرى مثل الوجبة diète، التي تدل على نظام زمني ومكاني لفعل الأكل، والطبخ الذي يدل على تقنيات تقليل مخاطر الأغذية الموجودة في الطبيعة، وعلى كيفيات تحفيز قيمة وفائدتها للجسم.

من هنا جاءت عمليات تحويل الأغذية من حالتها الخام إلى وضعية متحضرة أو ثقافية، والتي يمكن تسميتها بالقابلية الثقافية للاستهلاك. والمتمثلة في أربعة مميزات أساسية هي: التشاركية la convivialité، طبيعة المنتوج المستهلك، وتقنيات تحضير الأغذية. وأخيرا رمزية الأغذية، فاللحم مثلا يرمز إلى الأضحية والقربان، وهو طعام المناسبات والأفراح، أما الخبز والنبيذ والزيت فهي رموز الرحمة والنعم الإلهية.

لكن في الواقع إن معنى الغذاء لم يكن مستقرا وثابتا وإنما تغير وتطور تبعا لتطور البنى المعرفية والتقنية للمجتمعات، فمصطلح الغذاء "Aliment" المتداول اليوم لم يظهر إلا في بداية القرن الثاني عشر ميلادي، ولم يأخذ معناه الحالي إلى في القرن السادس عشر تحت تأثير الثقافة الجرمانية، وضعف الهيمنة الكنيسية، ليستقر عند معنى "كل ما هو جيد للحفاظ على الحياة" (Poulain ,2011,234).

بيد أن فكرة استقرار معنى الغذاء والاتفاق عليه لا ينفي التعدد والتباين في الفهم، فمثلا على مستوى التحديد الأنطولوجي نجد الانثروبولوجيين مثل "ماري كروس" Marie Krause و" مارسال

موس " Marcel Mauss وهالبواش Halbwachs يفرقون بين الطعام وبين الغذاء فالطعام له شحنة ثقافية تحيل إلى التصنيف الاجتماعي لما هو قابل للأكل، أما الغذاء فهو كل مادة لها خصائص غذائية للجسم من أجل إبقاءه بصحة جيدة. ولعل هذا هو سبب في توجيه تفكير العلوم الاجتماعية حول الغذاء إلى تمظهراته الثقافية والاجتماعية وطريقة استهلاكه (Poulain 2011,136).

وقد بين أن الطعام له ثقافة تتمظهر كبناء رمزي ومعياري هو نتيجة لعمليات تاريخية معينة وفريدة. بما يعني أن الممارسة الغذائية هي ممارسة رمزية في جوهرها تنصهر في صميم عملية الإنتاج الهوياتي للجماعة / المجتمع، أي أنه مصدر من مصادر ديناميكية إعادة إنتاجها وأحد علاماتها، ليتداخل الأكل بالمأكول، وتصبح الهوية الغذائية هي نفسها الهوية الثقافية للمجتمع أو لإحدى فئاته (صولة، ع، 2012، 254).

منهج الدراسة:

لغرض الحصول على نتائج محددة لتساؤلات البحث فقد استخدمنا منهج تحليل المضمون لتحليل خطاب المبحوثين المجسد من خلال مقابلات تم اجراءها معهم. وقد اعتمدنا هذا المنهج لكونه الأنسب في مثل هذه البحوث، وهو منهج يصنف عند البعض ضمن المنهج الوصفي لاستخراج نتائج كمية محددة بغية الحصول على إجابات دقيقة عن أسئلة الدراسة. وعليه وضعنا شبكة خاصة بتحليل مضمون الإجابات التي تضمنتها عينة الدراسة، مستفيدين من الثرات المنهجي وبما يتناسب مع طبيعة الدراسة كالأتي:

أولا/ بناء شبكة التحليل:

توفر شبكة التحليل للباحث إطارا محددا لتسجيل المعلومات التي تفي بمتطلبات البحث، حيث يتم تصميمها بما يتفق وأغراض التحليل، وتعبر كميا عن مضامين المقابلات، بحيث تشمل هذه الشبكة على فئات التحليل، ووحدات التحليل، ووحدات القياس. وكانت الصيغة النهائية للشبكة، على النحو الآتي:

أ : فئات التحليل :

بما أن شبكة تحليل المضمون تهدف إلى رصد فهم المبحوثين للطعام، فإنها تعد شبكة أحادية المستوى، أي مستوى الموضوع (الطعام / الهوية). وعليه لابد من وضع تعريفات إجرائية لتحديد الفئة التي تضمنتها ضمانا لدقة تحديد التطبيق.

فئة الموضوع: وتستهدف هذه الفئة الإجابة على السؤال علام يدور موضوع المضمون، وتفيد هذه الفئة في الكشف عن مراكز الاهتمام في المضمون، ذلك أن المستجوبين يعطون أهمية

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

للمواضيع التي تتفق مع رؤيتهم المعيارية والثقافية. وقد حددنا فئة الموضوع في تمثلهم لطبيعة العلاقة المفترضة منا بين الطعام والهوية.

ب: وحدات التحليل:

لأغراض تحليل المضمون، فإننا يجب أن ننظر إلى محتوى الإجابات المحصل عليها من خلال بناء المعاني والدلالات التي تتضمنها، ولكي نقوم برصد أهم المواضيع والاتجاهات المبينة في خطابات المبحوثين فإننا استخدمنا وحدات اللغة والفكرة على النحو التالي:

وحدة اللغة: وهي تشمل الكلمة والجملة والفقرة التي اتخذها المبحوث للتعبير عن تصوره للموضوع. وقد حددنا هذه الوحدات وفق مؤشرات محددة وفق المفاهيم الأساسية المستعملة في الدراسة.

وحدة الفكرة: وهي من أكثر الوحدات شيوعا، خاصة عندما تستعمل فئة الموضوع، لأن تناول الفكرة كوحدة تحليل يفيد في تحديد الاتجاهات والأحكام التي تقع على مستوى الرسالة أو الخطاب. وقد حددناها وفق المعاني والدلالات التي تحيل إليها الإجابات.

ثانيا / تقنية جمع المعطيات:

منذ أن أستقر الأمر على الموضوع في شكله النهائي، كان التفكير في أدوات البحث يتم بشكل متوازن مع الجانب النظري للبحث، وعن أكثرها ملائمة لتحقيق الأهداف المتوقعة، ومسايرة لطبيعة الإشكال المطروح ونوعية الفرضيات المطروحة. خاصة وأن الغاية من البحث تكمن في رصد فهم وتصور الطعام لدى المبحوثين وربطها بتمثلاتهم الهوياتية. وهذا ما قادنا إلى اعتماد المقابلة العلمية معتبرا إياها التقنية الأساسية الأمثل للبحث.، كما تم الاعتماد على الملاحظة بنوعيها الملاحظة العادية والملاحظة بالمشاركة، فالأولى تمُكننا من تسجيل سلوك الفاعلين وفهمه دون الحاجة لمساءلة وظيفة الشيء الملاحظ، لأن السلوك المسجل دليل موضوعي، والثانية تمكننا من المشاركة في حيثيات البحث ضمن المجتمع الدي ننتمي اليه أصلا متوخين في ذلك الدقة والصدق في تسجيل الملاحظات.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المقابلة نصف موجهة، حيث قمنا بتقسيمها إلى ثلاثة أقسام. وقد احتوى دليل المقابلة المستخدم على 06 أسئلة موزعة على ثلاثة أقسام، تمحور القسم الأول حول العناصر التعريفية للمبحوث كالسن والمستوى التعليمي والوضع السوسيومهني. أما القسم الثاني فقد تم تخصيصه لأراء ومواقف المبحوث بالمؤشرات المتعلقة بالفرضية الأولى، أما القسم الثالث فقد خصص للأسئلة المتعلقة باختبار الفرضية الثانية.

ثالثا / العينة:

تبعا لطبيعة المجتمع الكلي للدراسة وهم ساكنة منطقة البيض، فإن المعاينة كانت غير احتمالية لعدم توافر شرطي التجانس والقاعدة الإحصائية لوحدات البحث وقد استقر اختيارنا على العينة القصدية التي يراعى في سحبها الإطار النظري المتبع معتمدين أساسا على نتائج البحث الاستطلاعي.

كانت الغاية منها فهم تجربة كل فرد على حدى في اعداد وتوزيع الطعام ودوره في خلق التمايز الهوياتي ودوره في بناء العلاقات والروابط الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي بين افراد الجماعة، ودامت فترة العمل الميداني من ماي 2019 الى جوان 2020، وهكذا، سمحت لنا الظروف بتحديد حجم العينة بعشرين مبحوث مصنفين حسب متغيرات : الجنس 10 اناث و10 ذكور والسن ما بين 25 و80 سنة، والمستوى التعليمي متنوع بنسب30% أمي 10%إبتدائي 05%متوسط20% ثانوي 35%جامعي والوضعية الاجتماعية : بنسبة75%متزوج35%أعزب، خصائصهم أنهم أفراد يسهل الحديث معهم .

وبما أن الأمر يتعلق ببحث كيفي يهدف بحكم طبيعته الفهمية إلى تحديد المضامين وفهم المبحوثين للطعام وليس إلى قياس الآراء والمواقف، فإن مسألة تمثيلية العينة لا يمكن أن تنحصر في العدد بالنظر لكبر المجتمع الإحصائي. ذلك أن هدفنا ليس تحديد علاقات سببية بين متغيرات، وإنما فهم ممارسات معينة، أخذين بعين الاعتبار بعض السمات المميزة على غرار المستوى التعليمي، النشاط، الجنس.

مجالات الدراسة:

المجال المكاني: منطقة البيض.

المجال البشري: طبقت الدراسة على 20 فردا من مجتمع منطقة البيض.

المجال الزمني: امتدت الدراسة من ماي2019 الى جوان 2020.

الدراسات السابقة.

دراسة (أحمد نجم عبد الزهرة، 2016) رسالة ماجستير الموسومة بعنوان: ثقافة الطعام في مجتمع محلي دراسة أنثروبولوجية في مدينة بغداد، وقد هدفت الدراسة إلى مناقشة عمليات إعداد الطعام، وأساليب تحضير الوجبة بوصفها المنتج الثقافي الخاص بثقافة معينة ومناقشة أهمية الطعام في نقل القواعد الثقافية كالعادات والتقاليد، وقد استخدمت الدراسة منهجية التطورية المحدثة للأستاذ white.

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

أهم النتائج التي تحصلت عليها الدراسة الميدانية:

- الطعام وتناوله في أي مكان أكبر بكثير من مجرد إبتلاع مواد غذائية لسد النقص في الطاقة التي يحتاجها الجسم البشري، ويعد تناوله واقعة للتجمع وقد يكون التجمع واقعة للطعام فينتج عنه علاقات بين الافراد.

- مكان وتوقيت تناول الوجبة وتباينهما وفقا لواقعة الأفراد أنفسهم على مستوى النوع أو الجندر او المهنة او الحالة المعيشية هما في حد ذاتهما قواعد تحفيزية ثقافية للأفراد اندمجت مع حاجتهم البيولوجية.

- يتباين الافراد فيما بينهم في طريقة إعداد الطعام وتناوله ويؤلفون بذلك نمطا ثقافيا.

دراسة (شريفة بريجة، 2016) أطروحة دكتوراه علوم، في علم الاجتماع الموسومة بعنوان التغيرات السوسيو -ثقافية وأثرها على الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري، دراسة سوسيو ثقافية لبعض مؤشرات التغير نموذجا عبر بعض المدن الجزائرية.

وقد هدفت الدراسة الى معرفة واقع الهوية الثقافية الجزائرية في ظل التحولات السوسيوثقافية التي يعيشها المجتمع الجزائري بالوقت الراهن بهدف اسقاط الضوء على الآثار السلبية التي تخلفها هذه التغيرات، وبهدف تحريك الوعي بالصراع الثقافي والتفطن للاضطرابات التي تعرفها الهوية الثقافية، والتي تنعكس سلبا على البنية الاجتماعية للمجتمع، وتطرقت لثقافة الأكل في المجتمع الجزائري في الفصل الرابع واعتمدت على كل من المنهج الوصفي والمنهج التاريخي، والمنهج المقارن.

أهم النتائج التي تحصلت عليها الدراسة الميدانية:

- الجزائريون متمسكون بالأكل التقليدي لما له من دلالات رمزية لديهم، وهذا لا ينفي انتشار ممارسات غذائية جديدة وتأثيرها على الهوية.

عرض ومناقشة نتائج الدراسة:

خلصت إلى مايلي:

-الطعام سمة ثقافية تدل على التنوع والتمايز الهوياتي .

-لكل ممارسة غذائية شفرة هوياتية ثقافية.

-للطعام دور في بناء العلاقات والروابط الاجتماعية، ويساهم في عملية التفاعل الاجتماعي

-الطعام منتوج ثقافي ينبصم بالسياقات الثقافية التي ينتمي إليها.

-الطعام لا ينحصر في حدود المعطى البيولوجي وإنما هو نتاج اجتماعي وثقافي يحدد طبيعة المجتمع وهويته.

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

-تناول الطعام وطرائق إعداده وحفظه وتدويره كلها ممارسات لا تخلو من رمزيات وبنيات ثقافية.

- مناقشة النتائج:

الطعام هو ممارسة رمزية تدل على السمة الثقافية المميزة:

لا يكف الإنسان عن محاولة إثبات تفرده فبعد تميزه عن الحيوان بالطهي، وتميز مجتمعه عن باقي المجتمعات المجاورة في مسألة الطعام سواء بإضافة نكهات مميزة أو بالابتكار في طريقة إعداده ومن هنا يظهر من السهل أن هناك درجة من وعي الفرد بكون الطعام أكثر من مجرد وسيلة للإشباع، فالفرد اصبح على وعي تام بان ما يأكله صار يشكل هويته، ويعكس اختلافه واختلاف مجتمعه ثقافيا عن باقي المجتمعات وهذا ما يظهر من خلال إجابات المبحوثين :

1 و2 و5 و6 و10 و13و16 حيث كانت اجاباتهم متقاربة ومتماثلة بحيث يقول:

المبحوث 33/1سنة:"حنا البيض من بكري معروفة بكرمها وبماكلتها كيما المعكرة والطعام (الكسكس)ومستحيل تلقي معكرة كي معكرة البيض"

"نحن في البيض منذ القدم معروف على ولايتنا الكرم وأكلها كالمعكرة والطعام (الكسكس) ومستحيل أن تجد معكرة مثل معكرة البيض"

المبحوثة 2/ 29سنة: "حنا ولايتنا مشهورة بطعامها (كسكسها)وحريرتها المعطرة بالقرطوفة لي ماتصيبها في حتى بلاصة"

"نحن ولايتنا تشتهر بكسكسها وحريرتها المعطرة بعشبة القرطوفة التي لا تجدها في أي مكان"

المبحوث رقم49/5سنة: "تضرب مشوي البيض سيرتو لا كليته في برزينة تنسى مين جيت"

"تأكل مشوي البيض خاصة اذا اكلته في بريزينة تنسى من حيث اتيت"

المبحوث رقم 38/16سنة: "البيض بلاد الكرم والجود ولي ذاق ماكلتها وتعرف على ناسها وعوايدهم محال ينساها ".

"البيض بلاد الكرم والجود والذي يتذوق أكلها ويتعرف على أهلها وعاداتها مستحيل ينساها".

-مساهمة الطعام في النظام الاجتماعي وبناء العلاقات والرو ابط الاجتماعية:

"الطعام والدعوة للطعام والمشاركة فيه الغاء للعدوانية وابعاد للخطر التهديد الذي قد يأتينا من الاخر، كما انه يساهم في عملية التفاعل بين الأفراد وهذا ما نلمسه في المناسبات واللقاءات التي تجمع العائلات والافراد في نسج الصداقات والقرابات والمصاهرات التي تؤكد" المشاركة في الطعام بقاء الجماعة على قيد الحياة على المستويين الاجتماعي والمادي، فالرفيق حرفيا الشخص الذي يأكل المرء معه خبزا، ورفض المشاركة في الطعام علامة على العداوة والكراهية فبين

البراهميين مثلا : الرجل لا يأكل مع عدوه لأن تناول الطعام معا علامة على القرابة والثقة والصداقة كما أنه علاقة على الحميمية الجنسية أيضا في بعض الثقافات"(كونيهان، ك، 30، 31، 2013)

وهذا ما عكسه مضمون خطاب المبحوثين، وبين مجمل اعتقاداتهم حول الطعام ودوره في إرساء وتوطيد العلاقات الاجتماعية، وكيف أن الطعام أوجد وأسس في ظل النظام الاجتماعي قرابة جديدة هي قرابة الملح تماثل في قوتها قرابة الدم يقول د. عبد الرحيم العطري "فإذا كان الدم ينتج علاقات قرابية تثمر حقوقا وواجبات في مستوى الأخوة والعمومة والخؤولة والمصاهرة، بل وتحدد قوانين للاستراتيجيات الزواجية مثلا، فان قرابة الملح بدورها تنتج هذه القوانين المؤطرة للعلاقات الاجتماعية «(العطري، ع، 175، 2006) حيث نجد:

المبحوث رقم 11 / 60 سنة "إذا واحد وكلك ملحه وعاشرك بالنية والله تخدعه يخرج فيك ملحه ونيته"

" إذا أحدهم أطعمك طعامه وعاشرك بالنية والله إذا خدعته يخرج فيك طعامه ونيته"

المبحوث رقم 30/20سنة " حنا في البيض عيب عليك واحد يعرضك ومخسر ماكلته وماتوجبلهش يستمى قلة قمنة وقادر تخسره "

"نحن في البيض عيب عليك أحدهم يدعوك للضيافة ويخسر مصروف إعداد طعامه ولاتستجيب لدعوته معناه ليس لك أخلاق وأصل ومن الممكن أن تخسر صداقته أو قرابته"

المبحوث رقم 45/15 سنة: "حنا فالبيض عوايدنا زينة نتعاونو فافرح وفالقرح ونتشاركو المعاريف اللي تصرف علينا البلاء باذن الله."

"نحن في البيض عاداتنا جميلة نتعاونو في الفرح والقرح ونتشارك في المعروف الذي يذهب علينا البلاء باذن الله".

المبحوثة رقم55/18 سنة: "لدروك انا وجاراتي ماقطعناش التضيقة ومانقطعوهاش"

"لحد الان أنا وجاراتي لم نقطع تبادل الوجبات ولن نقطعها"

المبحوث رقم 7 /35 سنة "انا لي يعرضني ويتفكرني في كل مناسباته راه مقامي عنده عالي ويعزني ويبقيني نشاركه قاع مناسباته وهذا محال نخسره"

"انا الذي يدعوني ويتذكرني في كل مناسباته معناه أن مقامي عنده عالي ويقدرني ويحبني أن أشاركه كل مناسباته وهذا مستحيل أن اخسره"

المبحوثة رقم39/17سنة: "أنا نتلاق بحباباتي قي في لمة نتاع قصعة ولا مناسبة تلقاني قي نستنى وينتا يعرضوني لتم نشوف قاع لي في خاطري نتلاق بهم "

"أنا ألتقي بحبيباتي فقط في لمة ومناسبة العقيقة أو مناسبة أخرى لذا تجدني انتظر متى يدعونني لأنه هناك أرى وألتقي كل من أتمنى ان ألقاه"

المبحوثة رقم 32/12سنة" البيض خيمة كبيرة يكون قاع داير ماكلة عادية كي يجيه الضيف يبدل قاع الماكلة ويصرف وقادر يدين ويطيبوله من جديد إكرام للضيف وقيمته الكبيرة"

" البيض خيمة كبيرة يكون محضر وجبة او طعام بسيط لكن لما يحضر الضيف يغير وجبته ويشتري وقد يستدين ويعد له الطعام من جديد إكراما للضيف وقيمته الكبيرة"

المبحوث رقم46/19 سنة" حنا في البيض مزال حاجة مليحة عدنا في المناسبات فرح ولا قرح يتعاونو نساوينا يطيبو مع بعض وحنا الرجال نوقفو ونفوتو هذ المناسبة كما يبغي الخاطر ويخلق واحد الجو روعة "

" نحن في البيض لازال شيء جيد لدينا في المناسبات سواء فرح أو قرح تتعاون نساؤنا يعدون الطعام مع بعض ونحن الرجال نقف وتمر هذه المناسبة كما يجب في أجواء عائلية رائعة "

المبحوثة رقم 80/09سنة: المعروف وتقسام الطعام يصرف البلاء"

"المعروف وتقاسم الطعام يصرف ويذهب البلاء "

المبحوثة رقم25/14 سنة " أنا مزال ميمتي ربي يحفظها كي تبقي تبركش الطعام تلايم خالاتي هوما يبركشو وانا وبنات خالاتي نتعاونو في فطورهم ونظن هذ العادة قاعدة قي في البيض"

"أنا أمي مزالت حفظها الله لما تريد إعداد الكسكس تجمع خالاتي هن يحضرن الكسكس وأنا وبنات خالاتي نتعاون في إفطارهم وأظن هذه العادة باقية فقط في البيض"

المبحوثة رقم 26/08 سنة: "أنا تعلمت بزاف على جدتي وميمتي وراني متخصصة في مجال الطبخ وهنا ضربت عصفورين بحجر منها مهنة ومنها نسلك راسي كي نتزوج ياك يقولو الطريق لقلب الرجل كرشه"

"انا تعلمت كثيرا عن جدتي وأمي ومتخصصة في مجال الطبخ وهنا ضربت عصفورين بحجر واحد منها مهنة أسترزق بها ومنها انفع نفسي عندما أتزوج مثلما يقولون الطريق الى قلب الرجل بطنه "

المبحوثه رقم 25/3 سنة " انا تحلالي الماكلة مع عايلتي في طابلة وحدة وتحلالي الهدرة ونجبدو قصص بزاف ونكره كي نأكل وحدي "

" أنا يحلو لي الأكل مع عائلتي في طاولة واحدة ويحلو الكلام ونتذكر قصص كثيرة وأكره أن أكل لوحدي "

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

إذن يظهر من خلال إجابات وخطابات المبحوثين اقتران الطعام والحس الجمعي، حيث تكرر ضمير نحن كدلالة على الافتخار بالانتماء إلى واقعة الطعام مكانا وجسدا وكيف أن طعام منطقتهم المتمثل في الكسكس والمعكرة والمشوي والحريرة وغيرها مميز ولا يوجد له نظير فهذا يحيلنا إلى أن الطعام في منطقة البيض سمة ثقافية مميزة لمجتمعها ويساهم في عملية تمايزها الهوياتي وإنفرادها، وتميز مطبخها عن باقي مطابخ المناطق الجزائرية فما نسميه هوية مطبخية لا يزيد عن كونه تجسيدا للهوية الاجتماعية والثقافية فالطعام كما تبين هو مرآة صادقة تقدم صورة الحياة بشفافية وأصالة، ولا تختبئ وراء الحواجز والاقنعة، حيث صار ينظر إليه بوصفه مكرسا للتقطيعات الاجتماعية والإثنية، والثقافية الأمر الذي يحيلنا الى تعبير وقول فيشلر : "نحن في الحقيقة نعرف انفسنا ونتعرف عليها من خلال الغذاء الذي نستهلكه وإذا لم نعرف ماذا نأكل فإننا لا نعرف ما سنكون عليه وأيضا من نكون".(Fischler (C.), 1990, 70)

خاتمة:

حاولت هذه الدراسة التي أجريت بمنطقة البيض أن تبين أن الأطعمة المتواترة فيها من كسكس ورفيس ومعكرة ومشوي يتداخل فيها الطعام بالفرد كنوع من الوعي بالذاتية والخصوصية في علاقتها بالآخر، علاوة على بناء الشبكات العلائقية وترميمها، وتكرس تقاليد مطبخ المجتمع البيضي وأطعمته هويته الثقافية، ونمط حياة الجماعات التي تنتمي اليه. وعليه فإن التقاليد المطبخية المتواترة في الجزائر كقطر تكشف على الصعيدين الجغرافي والاثني عن وجود اختلافات مثيرة ومميزة وفاصلة بين مختلف الجماعات المكونة للمجتمع الجزائري حيث تكاد تنفرد كل منطقة بوصفاتها المطبخية الخاصة، وبذلك فالطعام حامل لهوية المجتمعات ومساهم في تشكيلها.

****

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

قائمة المصادروالمراجع:

المراجع العربيّة:

-أحمد، بن نعمان (1996). الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات، شركة دار الأمة، الجزائر.

-احمد، نجم عبد الزهراء (2016). ثقافة الطعام في مجتمع محلي دراسة انتربولوجية في مدينة بغداد، رسالة ماجستير في الأنثروبولوجيا التطبيقية، كلّيّة الآداب، الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق.

-العطري، عبد الرحيم (2016). قرابة الملح الهندسة الاجتماعية للطعام، ط1، المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب.

-شريفة، بريجة (2016). التغيرات السوسيو ثقافية وأثرها على الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري، دراسةسوسيو ثقافية لبعض مؤشرات التغير نموذجا عبر بعض المدن الجزائرية، أطروحة دكتوراه في العلوم في علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران.

-صولة، عماد، هوية الطعام وطعام الهوية، مجلة علوم الإنسان، العدد 02 جوان 2012.

-كونهان، كارول(2013). أنثروبولوجيا الطعام والجسد، ط1، ترجمة سهام عبد السلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.

المراجع الأجنبية:

- FISCHLER C., MASSON E. (s.d.) (2008), Manger : Français, Européens et Américains face à l'alimentation, Odile Jacob cité par Thierry MATHÉ Thomas PILORIN Pascale HÉBEL, du discours nutritionnel aux représentations de l'alimentation. CAHIER DE RECHERCHE N° 252 DÉCEMBRE 2008 p 10 . consulté le 3 mars 2016.URL : http://www.credoc.fr/pdf/Rech/C252.pdf.

- Poulain Jean-Pierre. Sociologies de l'alimentation. Les mangeurs et l'espace social alimentaire. 2e édition janvier . . P U F paris 2011..

-Belasco, Warren, (2008), Food:The Key Concepts,1st edition , Berg Oxford.

-Brix H, James, (2006), Encyclopedia ofnthropology,volume3, London, sage publication.

-Clamageran, j, j, (1874), l'Algérie impressions de voyage, paris, librairie Germer Bailliere.

-Fischler, C, Jacob, (1990), L'Homnivore, le goût, la cuisine et le corps, Paris, Odile.

-Fromentin, Eugene, (1857), Un été dans le Sahara, Paris, Alphonse Lemerre Editeur.

-Lévi, Strauss, C, (1968), l'origine des manières de table, paris, Librairie Plon.

-Philippe CARDON et Domingo GARCIA-GARZA, « L'alimentation : enjeux théoriques et empiriques dans les Amériques », IdeAs [En ligne], 3 | Hiver 2012, mis en ligne le 03 janvier 2013, consulté le 12 mars 2016. URL : http://ideas.revues.org/403